الإشارات العلمية حول (تبدد الكون وزواله) في القرآن الكريم – دراسة بلاغية–

Scientific references to (the dissipation and demise of the universe) – in the Noble Qur'an - a rhetorical study

مروى عبد الهادي نجم
كليـة التربيـة للبنـات– قسـم اللغـة العربية
د. أحمد عامر سلطان الدليمي
أستاذ مساعد
جامعـة الموصـل– كليـة التربيـة للبنـات– قسـم علـوم القـرآن والتربيـة الإسلامية

Marwa Abdel Hadi Najm,
College of Education for Girls - Department of Arabic Language
Dr. Ahmed Amer Sultan Al-Dulaimi
Assistant professor
University of Mosul - College of Education for Girls - Department of Quran Sciences and Islamic Education

dr.ahmed.amer@uomosul.edu.iq
marwa.20gep29@student.uomosul.edu.iq

تاريخ الاستلام ٢٠٢٣/١/٢٢ تاريخ القبول ٢٠٢٣/٢/٨

الكلمـات المفتاحيـة: الإعجـاز البلاغـي فـي القـرآن الكـريم، الإشـارات العلميـة، تبـدد الكون، زوال الكون، دراسة بلاغية

Keywords: rhetorical miracles in the Holy Qur'an - scientific references - the dissipation of the universe - the demise of the universe - a rhetorical study

الملخص

جاء هذا البحث تحت عنوان (الإشارات العلمية حول (تبدد الكون وزواله) في القرآن الكريم – دراسة بلاغية–) وهدفه التعرف على بلاغة النص القرآني وأسراره في وصف تبدد الكون، وما دفعنا إلى اختيار هذا الموضوع هو أن القرآن الكريم هو المجال الخصب للبحث عن قوة أنظمته، بيانه وبراعة مقدمته، وقد تناولت الدراسة من خلال استخدام المنهج التحليلي البلاغي الذي يكشف عن جماليات الصور الفنية، واللمسات البيانية التصويرية التي تميز القرآن الكريم بنسيجه المحكم وأسلوبه الرائع، فكان البحث في تمهيد ومبحثين، الأول (التبدد والزوال لغة واصطلاحًا) والثاني (حالات التبدد والزوال في الكون) ثم ختمنا الدراسة بأبرز النتائج التي توصلنا إليها.

Abstract

This research came under the title (Scientific references about (dissipation of the universe) in the Holy Qur'an - a rhetorical study -) and its goal is to identify the eloquence of the Qur'anic text and its secrets in describing the dissipation of the universe, and what prompted us to choose this topic is that the Holy Qur'an is the fertile field to search for the strength of its systems, its statement and the ingenuity of its introduction, and the study dealt with through the use of the rhetorical analytical approach that reveals the aesthetics of artistic images, and the graphic touches pictorial that characterize the Holy Qur'an with its textured texture and wonderful style, so the search was in Preface and two sections, the first (dissipation and demise language and idiomatically) and the second (stages of dissipation and demise in the universe) and then we concluded the study with the most prominent results we reached.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد (صلى الله عليه وآله وأصحابه وسلم) وبعد:

إن القرآن الكريم كتاب الله المعجز الذي تحدى به الأنس والجن على أن يأتوا بمثله، فعجزوا عن ذلك، فالقرآن معجز في كلماته وأسلوبه وبيانه وأنظمته، أينما يوجه الإنسان نظره إلى القرآن، يجد سرا من أسرار الإعجاز البلاغي؛ ولذلك يحثنا القرآن الكريم على التأمل والتدبر في آياته المباركة.

وتأتي أهمية هذا البحث من أهمية الموضوع الذي تناوله وهو (تبدد الكون وزواله) والذي سماه القرآن الكريم بـــ(اليوم الآخر) وقد بينت في هذا البحث أهوال تبدد الكون وزواله من خلال الآيات التي تختص (بالسماء وما فيها)، وما يصيبها من تغيير، وقد تناولت الدراسة من خلال استخدام المنهج التحليلي البلاغي الذي يكشف عن جماليات الصور الفنية واللمسات البيانية التصويرية التي تميز القرآن الكريم بنسيجه المحكم وأسلوبه الرائع.

أما خطة البحث فقد قسمت على مبحثين، الأول: التبدد والزوال لغة واصطلاحًا، أما المبحث الثاني: فقد تناولت فيه حالات التبدد والزوال في الكون وختمت بالنتائج التي توصلنا إليها.

وكان التركيز في هذا البحث على النواحي البلاغية، وإبراز مشاهد يوم القيامة المفزعة وما سيحدث فيها من انقلابات كونية بأسلوب بلاغي له تأثير واضح في الترغيب والترهيب من يوم القيامة وتقريب الصورة للأذهان بأسلوب فني جمالي بحيث تتجلى اللمسات البلاغية والبيانية وتظهر إعجاز القرآن الكريم في هذه الآيات تحديدًا.

المبحث الأول

التبدد والزوال لغة واصطلاحًا

المطلب الأول: التبدد لغة واصطلاحًا

التبدد لغة: وهو من "بدد بده يبده بدا: فرقه. والتبديد: التفريق. يقال: شمل مبدد. وتبدد الشيء: تفرق"(١)، و تبدد الشيء أي: ضاع(٢)، وقد "تباد القوم يتبادون إذا أخذوا أقرانهم. ويقال أيضا: لقوا قوما أبدادهم، ولقيهم قوم أبدادهم أي أعدادهم لكل رجل رجل، و قولهم في الحرب يا قوم بداد بداد أي ليأخذ كل رجل قرنه"(٣).

التبدد اصطلاحًا: وهو "فعل من التبديد وهو التفريق"(٤)، فالمعنى الاصطلاحي لا يخرج عن المعنى اللغوي.

المطلب الثاني: الزوال لغة واصطلاحًا

الزوال لغة: وهو من زول والزوال: ذهاب الملك، وزوال الشمس كذلك، والاستحالة والاضمحلال(٥).

الزوال اصطلاحًا: وهو "الذهاب، وأزال، وأزال: يتقاربان في المعنى، غير أن أزل يقتضي عثرة مع الزوال، يقال: (أزللته فزل) و (أزلته فزال)"(٦)، فالمعنى الاصطلاحي هنا لا يخرج عن المعنى اللغوي أيضًا.

إن العلم الحديث أثبت أن الكون سيتبدد ويزول ولن يبقى غيره تعالى والحقائق العلمية تؤكد تبدد الكون بشكل مرعب، وقبل كل العلوم أثبت القرآن الكريم بآيات صريحات واضحات أن الكون سوف يتوقف عن التوسع وينهار في المستقبل والله أعلى وأعلم، وهذا كله تمهيد لحدث كوني يطلق عليه (يوم القيامة) فالله -عز جل- ذكر في كتابه الكريم أحوال مصير الكون في المستقبل منها: طي السماء وانشقاقها وتكوير الشمس وانكدار النجوم وغيرها من الأحوال(٧)، وهذا الحدث الكوني الجلل يسبب في انهدام النظام الكوني ويرجح البعض أنه

---

(١) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، اسماعيل الجوهري، مادة(بدد):٢/٤٤٤.و مقاييس اللغة، ابن فارس، مادة(بدد): ١/١٧٦.

(٢) ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عمر، مادة(بدد): ١/١٦٩.

(٣) لسان العرب، ابن منظور، مادة(بدد): ٣/٧٩.

(٤) الكليات، الكفوي:٩٧١.

(٥) ينظر: العين، الفراهيدي، مادة(زول):٧/٣٨٤.و لسان العرب، مادة(زول): ١١/٣١٣.

(٦) الكليات: ٨٢.

(٧) ينظر: الكون بداية ونهاية، محمد الجزار: ١٤٣.

لا يقتصر على المنظومة الشمسية والمجرة فقط، في حين يرجح البعض الآخر أن هذا الحدث محلي وليس كونيًا فيقتصر على المنظومة الشمسية فقط بدليل قوله تعالى:﴿ وَجُمِعَ ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ ۝٩ ﴾ [القيامة:٩]، بيد أن هذا الاحتجاج ليس في موضعه لأن جمع الشمس والقمر سيحصل حين تنتفخ الشمس وتصبح عملاقًا أحمر يبلغ قطرها مدار الكواكب الأُخر، فليس يقتضي من جمع الشمس والقمر جمع بقية الكواكب معهما، ومما يعزز مذهبنا أن القيامة هي حدث كوني قوله تعالى:﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخۡرَىٰ فَإِذَا هُمۡ قِيَامٞ يَنظُرُونَ ۝٦٨ ﴾ [الزمر: ٦٨] فالصعق شامل للسماوات جميعًا وللأرض [1].

(١) ينظر: أوهام الإلحاد العلمي، محمد باسل الطائي:١٧٦.

المبحث الثاني

حالات التبدد والزوال في الكون

إن الحالات التي ذكرت في القرآن الكريم والتي تبين تبدد الكون ونهايته كثيرة، وقد شملت كل أجزاء الكون كالسماء وما فيها والأرض وما فيها، وكذلك الحيوان والإنسان، وقد وقع الاختيار على السماء وما فيها كنموذج بلاغي في رسم صورة لهذا الحدث الجلل.

أولاً: البلاغة في سياق الإشارة إلى طي السماء:

إن من أحوال انهيار الكون وتبدده يوم القيامة هو طي السماء، وهذه الحالة ورد ذكرها مرة واحدة في القرآن الكريم، إذ **قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يَوْمَ نَطْوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٤]**

استهلت هذه الآية بالظرف ﴿يَوْمَ﴾ المتعلق بـ﴿ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ﴾ من قوله تعالى ﴿ لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [الأنبياء: ١٠٣] ، فهو ظرف مبين لنوع الفزع الأكبر، وما يكون فيه من أهوال هائلة إذ تطوى السماء كطي السجل للكتب[١]، فالتقدير" لا يحزنهم الفزع الأكبر يوم نطوي السماء"[٢].

وقوله:﴿نَطْوِي﴾ من الطي ويحتمل في هذه الآية معنيين؛ أحدهما: الدرج الذي هو ضد النشر[٣]، والثاني :الإخفاء والتعمية، والمحو؛ لأن الله تعالى يمحو ويطمس رسومها ويكدر نجومها[٤]، والمعنى أن "السماء بكواكبها ونجومها تطوى فتتكدر كواكبها وشموسها ونجومها"[٥].

ومعنى ﴿ٱلسِّجِلِّ﴾ الصحيفة، أو الكاتب، فالسجل يطلق على الكتاب والكاتب[٦]، فإذا كان بمعنى الصحيفة يصبح التقدير: "تطوي السماء كما تطوى الصحيفة التي يكتب بها، وعلى معنى الكاتب يكون التقدير: كما يطوي الكاتب الصحيفة، والصحيفة إنما يطويها

---

(١) ينظر: الكشاف، الزمخشري: ١٣٧/٣.

(٢) مفاتيح الغيب، الرازي:١٩١/٢٢.

(٣) ينظر: مقاييس اللغة، مادة(طوى): ٤٢٩/٣.

(٤) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي: ٣٤٧/١١.

(٥) زهرة التفاسير، أبو زهرة :٤٩٢٥/٩.

(٦) ينظر: لسان العرب، مادة(سجل): ٣٢٦/١١. والقاموس المحيط، الفيروزآبادي، مادة(سجل): ١٠١٣.

الكاتب، ولعله ذكر السجل ليشمل المعنيين: الكتاب والكاتب"[١]، ولا يحسن حملهُ هنا على معنى الصحيفة لأنه لا يلائم إضافة الطيّ إليه ولا ارداف لقوله (للكتاب) أو (للكتب) فالوجه : أن يراد بالسجل الكاتب الذي يكتب الصحيفة ثم يطويها عند انتهاء كتابتها ، وذلك عمل معروف، فالتشبيه بعمله رشيق[٢].

وترسم الآية الكريمة صورة اختفاء السماء على طريقة التشبيه[٣] في قوله:﴿كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾ فهو تشبيه مرسل مفصل أي طيًا مثل طي الصحيفة على ما كتب فيها[٤]، واللام في قوله تعالى ﴿لِلْكُتُبِ﴾ متعلقة "بمحذوف هو حال من السجل أو صفة له... أي كطي السجل كائنًا للكتب أو الكائن للكتب، فإن الكتب هي الصحائف وما كتب فيها"[٥]، ومعنى طي السماء تغييرُ أجرامها من موقع إلى موقع أو اقترابُ بعضها من بعض كما تتغير أطراف الورقة المنشورة حين تطوى ليَكتب الكاتب في إحدى صفحتيها، وأن السماوات والأرض ستعودان مجتمعتين كما كانتا في بدء نشأتهما، وهذا مظهر من مظاهر انقراض النظام الحالي ، وهو انقراض له أحوال كثيرة وُصف بعضها في سُور من القرآن[٦].

وقوله ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ﴾ أي نعيده كما بدأنا أول خلقه، و(أول خلق) "مفعول (بدأنا) والمعنى: نعيده أول خلق إعادة مثل بدأتنا له، أي كما أبرزناه من العدم إلى الوجود نعيده من العدم إلى الوجود"[٧] وأفاد كاف التشبيه في قوله ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ﴾ أن إعادة خلق الأجسام شبّهت بابتداء خلقها، ووجه الشبه هو إمكان كليهما والقدرة عليهما وهو الذي سيق له الكلام على أن التشبيه صالح للمماثلة في غير ذلك، ومعنى إعادة الخلق : إعادة مماثلة في صورته فإن الخلق أي المخلوق باعتبار أنه فرد من جنس إذَا اضمحل فقيل فإنما يعاد مثله لأن الأجناس لا تحقق لها في الخارج إلا في ضمن أفرادها كما قال تعالى :

---

(١) على طريق التفسير البياني، فاضل السامرائي: ٢٤٤/٤.

(٢) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور:١٥٧/١٧.

(٣) التشبيه: من " أشبه الشيء: ماثله، وأشبهت فلانًا وشابهته وأشتبه عليّ، وتشابه الشيئان واشتبها: أشبه كل واحد منهما صاحبه، والتشبيه: التمثيل" . معجم المصطلحات البلاغية، أحمد مطلوب:١٦٦/٢.

(٤) الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم، محمد حسين سلامة: ١٨٣.

(٥) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود: ٧٣٠/٣.

(٦) ينظر: من علم الفلك القرآني، عدنان الشريف: ٣٨.

(٧) البحر المحيط في التفسير، أبو حيان الأندلسي:٣٤٣/٦.

﴿ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴾ [طه: ٢١] أي مثل سيرتها في جنسها ، أي في أنها عصا من العصيّ[١].

وقد رُتّب نظم الجملة على التقديم والتأخير لأغراض بليغة ، وأصل الجملة :"نعيد الخلق كما بدأنا أولَ خلق يوم نطوي السماء كطي السجل للكتاب وعْداً علينا ، فحُوّل النظم فقدم الظرف بادئ ذي بَدء للتشويق إلى متعلقه ، ولما في الجملة التي أضيف إليها الظرف من الغرابة والطباق إذ جَعلَ ابتداءُ خلق جديدٍ وهو (البعث) مؤقتاً بوقت نقض (خَلق قديم) وهو طي السماء، وقدم ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ ﴾ وهو حال من الضمير المنصوب في (نعيده) للتعجيل بإيراد الدليل قبل الدعوى لتتمكن في النفس فضلَ تمكّن ، وكل ذلك وجوه للاهتمام بتحقيق وقوع البعث ، فليس قوله﴿ يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ ﴾ متعلقاً بما قبله من قوله تعالى : ﴿وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ [الأنبياء: ١٠٣]، وعقب ذلك بما يفيد تحقق حصول البعث من كونه وعداً على الله بتضمين الوعد معنى الإيجاب ، فعدي بحرف (على) في قوله تعالى : ﴿وَعْدًا عَلَيْنَآ ﴾ أي حقاً واجباً"[٢].

وجاء التوكيد في ﴿ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴾ بحرف التوكيد﴿إِنَّا ﴾ لتنزيل المخاطبين منزلة من ينكر قدرة الله؛ لأنهم لما نَفَوا البعث بعلة تعذر إعادة الأجسام بعد فنائها فقد لزمهم إحالتهم ذلك في جانب قدرة الله –سبحانه– والمراد بقوله (فاعلين) أنه الفاعل لِما وُعد به ، أي القادر، والمعنى : إنا كنا قادرين على ذلك[٣].

ومن دقائق التعبير القرآني استعمال الفعل الماضي ﴿كُنَّا ﴾، واسم الفاعل﴿فَٰعِلِينَ﴾ بدلا من الأفعال الدالة على المستقبل كـ (سنفعل ذلك)؛ والغرض من ذلك تنزيل المستقبل منزلة الماضي، وجاء باسم الفاعل للثبوت لأنه كان الأمر قد حل، فأكد بـ(إنّ)، وجاء بالفعل الماضي واسم الفاعل كل ذلك لتأكيد حصوله، فالأفعال المستقبلية التي علم الله تعالى وقوعها كالماضية في التحقق، ولذا عبر عن المستقبل بالماضي في مواضع كثيرة من الكتاب العزيز، أو قادرين على أن نفعل ذلك، وفي ذكر فعل الكون إفادة أن قدرته قد تحققت بما دل عليه دليل قوله ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ﴾.

---

(١) ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني:١٦٤. والتحرير والتنوير:١٥٧/١٧.

(٢) التحرير والتنوير:١٥٧/١٧.

(٣) ينظر: روح المعاني، الآلوسي: ١٠٣/١٧. على طريق التفسير البياني: ٢٤٦/٤.

ثانيًا: البلاغة في سياق الإشارة إلى انشقاق السماء:

وهي حالة من أحوال تبدد الكون، فقد ذكر الله –سبحانه– في كتابه العزيز صورة السماء حين الانشقاق في عدة مواضع منها ما جاء في قوله تعالى:﴿ فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتۡ وَرۡدَةٗ كَٱلدِّهَانِ ﴾[الرحمن: ٣٧]

إن هذه الآية الكريمة تنقل إلى المتلقي أسرار أحوال السماء يوم القيامة وهي صورة مستقبلية ما كان لأحد أن يستبق معرفتها ولا يملك تجلية الأمر حولها، فهي تنقل إلى المتلقي عبر مشبه به محسوس معلوم منتزع من البيئة الإنسانية وهذا المحسوس المعلوم في كل زمان ومكان فهو له قوة التجربة العلمية من حيث الاستحكام، إذ افتتحت هذه الآية بـ﴿إِذَا﴾ الشرطية مع حذف جوابها للاهتمام والعناية بما بعدها، أو أن القصد منه الإبهام فكأنه يقول :فإذا انشقت السماء فما أعظم الهول وانشقاق السماء انفطارها يوم القيامة[١] .

وأوثر التعبير بالفعل ﴿ٱنشَقَّتِ﴾ في قوله:﴿ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ﴾ على (تصدّعت) أو (تشققت) وغيرها من الأفعال لمناسبته مقام الحدث أو الهول، فانشق بمعنى انصدع، أو بمعنى الخرم الواقع في الشيء، والشقُّ: الصدع في حائط أو عود أو زجاجة ومنها انشقت عصا المسلمين بعد التئام، أي تفرق أمرهم[٢].

ومن البلاغة في الآية التشبيه في قوله: ﴿فَكَانَتۡ وَرۡدَةٗ ﴾ وهو تشبيه بليغ، أي: كانت كوردة ووجه الشبه هو تعدد ألوانها أي يتغير لون السماء المعروف أنه أزرق إلى البياض وربما كان وجه الشبه كثرة الشقوق كأوراق الوردة[٣] ، فوجه الشبه هذا يهيئ للمتلقي صورة ذهنية في الوقوف على أسرار الوجود؛ وذلك عبر إيحاءات التشبيه المنتزعة من البيئة المحلية.

وفي قوله:﴿كَٱلدِّهَانِ﴾ تشبيه بليغ[٤] ثانٍ للسماء ووجه الشبه هو التموج والاضطراب، والدهان هو شدة الاحمرار أو هو الشيء اللين وقيل هو دردي الزيت، ويطلق على المكان

---

(١) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبن عطية الأندلسي: ٢٣١/٥.

(٢) ينظر: مقاييس اللغة، مادة (شق):١٧٠/٣. و تاج العروس، مرتضى الزبيدي، مادة (شق): ٥١١/٢٥. و لسان العرب، مادة(شق): ١٨٢/١٠.

(٣) ينظر: التحرير والتنوير :٢٦١/٢٧.و: من أساليب البيان في القرآن الكريم، محمد علي ابو حمدة:٧٤.

(٤) التشبيه البليغ: هو "إخراج الأغمض إلى الأظهر بالتشبيه مع حسن التأليف" المعجم المفصل في علوم البلاغة، إنعام فوال العكاوي:٣٢٧/٢.

الزلق والطريق الأملس والجلد الأحمر دهان أو هو كل ما يدهن به من الأصباغ[١].
وبذلك يتداخل في هذه الآية تشبيهان أولهما تشبيه السماء بالوردة، والثاني هو تشبيه الوردة بالدهان، وتتجلى مشاهد الفزع حين تتصدع السماء وتتشقق فتكون كما شبّهها القرآن وردة كالدهان، وهو مشهد رُصدت بعض أشكاله مع موت النجوم العملاقة وانفجارها ولعلها من ارهاصات يوم القيامة.

والشقوق تحدث خللاً وضعفًا في انسجام بناء السماء ولن يكون هناك شقوق في السماء إلا يوم القيامة ، **قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِيَ يَوۡمَئِذٖ وَاهِيَةٞ ﴿١٦﴾ ﴾ [الحاقة: ١٦]**

إذ استهلت هذه الآية بالاستعارة التصريحية[٢] في قوله:﴿**وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ**﴾ فهي تعكس صورة السماء حين تتبدد القوى التي تمسك بها.

وتبرز الاستعارة التصريحية أيضًا في قوله:﴿**وَاهِيَةٞ**﴾ إذ يستعار الوهي للسهولة وعدم الممانعة، فمن معاني (واهية) الضعف والتفرق[٣]، وهو قريب من الوهن، والأكثر أن الوهي يوصف به الأشياء غير العاقلة، والوهن يوصف به الناس، وتقييد الوهي بـ﴿**يَوۡمَئِذٖ**﴾ إذ إن الوهي طرأ عليها بعد أن كانت صلبة بتماسك أجزائها وهو المعبر عنه في القرآن بالرتق كما عبر عن الشق بالفتق، أي فهي يومئذ مطروقة مسلوكة[٤] .

ثالثًا: البلاغة في سياق الإشارة إلى انفطار السماء:

وردت لفظة فطر ومشتقاتها في القرآن الكريم بصورة متعددة، وسميت سورة في القرآن بـ(الانفطار) دلالة على أن هذه السماء العالية المحكمة البناء ، والممسوكة بقدرة الله – سبحانه– ستؤمر من المولى –عز وجل– وستنفطر وتتشق، **قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ ﴿١﴾ ﴾ [الانفطار: ١]**

افتتحت هذه الآية بـأداة الشرط﴿**إِذَا**﴾ للتشويق لما يرد بعدها من أحداث، ومن البلاغة تقديم الاسم على الفعل في ﴿**ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ**﴾ للاهتمام بالمتقدم، ولإثبات وقوع هذا الأمر لا محالة، وليتمكن الخبر في ذهن السامع؛ لأن في المبتدأ تشويقًا إلى ذكر الخبر.

---

(١) ينظر: الصحاح ، مادة(وهي): ٢١١٥/٥. و مقاييس اللغة، مادة(وهي): ٣٠٨/٢. و المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، مادة(وهي): ٣٠١/١.

(٢) الاستعارة التصريحية: هي ما صرح فيها بلفظ المستعار منه(المشبه به) وحذف له(المشبه). علوم البلاغة، محمد أحمد قاسم، محي الدين ديب: ١٩٩.

(٣) ينظر: مقاييس اللغة، مادة(وهي): ١٤٦/٦.

(٤) ينظر: التحرير والتنوير: ١٢٤/٢٩.

والفعل (انفطر) يعود إلى الجذر(فطر)، فهو لغة ما دل على الفتح والإبرار[1]، وجاء بصيغة المبني للمعلوم؛ لدلالة على أن السماء بعظمتها تبادر من تلقاء نفسها بالاستجابة إلى أمر الله –سبحانه– فتنفطر.

وتكررت لفظة (فطر) بأكثر من موضع في القرآن الكريم، ووقع الاختيار على ما جاء في سورة المزمل من قوله تعالى: ﴿ ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ ۚ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَفۡعُولًا ﴿١٨﴾ ﴾ [المزمل: ١٨]

إذ افتتحت هذه الآية بالجملة الاسمية ﴿ ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ ﴾ لدلالتها على الثبات والاستقرار، وجاءت لفظة ﴿مُنفَطِرٌۢ﴾ على التذكير؛ لأن لفظة ﴿ٱلسَّمَآءُ﴾ مجازها السقف، فجاء عليه منفطر، ولم يقل منفطرة[2]، ويمكن أن يكون (منفطر) صفة لخبر محذوف تقديره: (شيء) والتقدير: (السماء شيء منفطر)، والباء في ﴿بِهِۦ﴾ سببية أو للاستعانة، أو بمعنى (في) وهو ارتقاء في وصف اليوم بحدوث الأهوال فيه، فالسماء على عظمها وسمكها تنفطر لذلك اليوم فما ظنكم بأنفسكم وأمثالكم من الخلائق فيه، والضمير في (به) عائد على اليوم[3].

وجاء الإخبار عن انفطار السماء بطريقة التشبيه البليغ في﴿ ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ ﴾ أي: السماء كالمنفطر به، والجامع شدة الهول والذعر؛ لأن ذلك يزيد المشركين رعبًا وإن لم يكن انفطار السماء من آثار أعمالهم ولا له أثر في زيادة نكالهم.

وقوله: ﴿كَانَ وَعۡدُهُۥ مَفۡعُولًا﴾ فيه "وصف إدماج للتصريح بتحقيق وقوع ذلك اليوم بعد الإنذار به الذي هو مقتض لوقوعه بطريق الكناية استقصاء في إبلاغ ذلك إلى علمهم وفي قطع معذرتهم"[4].

والضمير في ﴿وَعۡدُهُۥ﴾ عائد على (اليوم)، فالله –سبحانه– وعد العباد هذا اليوم، أي: في يوم القيامة ولا شك في انجازه للوعد، فهو قائم لا محالة.

رابعًا: البلاغة في سياق الإشارة إلى موران السماء

وهذه حالة أخرى من أحوال تبدد الكون وانهياره، إذ **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ يَوۡمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوۡرٗا ﴿٩﴾ ﴾ **[الطور: ٩]**

استهلت هذه الآية بالتقديم والتأخير، فقد تقدم الظرف﴿ يَوۡمَ﴾ على عامله للاهتمام بالمتقدم، "فلما قدم الظرف اكتسب معنى الشرطية وهو استعمال متبع في الظروف

---

(١) ينظر: مقاييس اللغة، مادة(فطر): ٨٤٩/١.

(٢) ينظر: البحر المحيط في التفسير: ٣١٩/١٠.

(٣) ينظر: محاسن التأويل، القاسمي: ٣٤٤/٩. و التحرير والتنوير: ٢٧٧/٢٩.

(٤) التحرير والتنوير: ٢٧٧/٢٩.

والمجرورات التي تقدم على عواملها"[١].

وجاء الفعل﴿تَمُورُ﴾ بصيغة المضارع للدلالة على التجدد والاستمرار، والمور هو ما تحرك بسرعة، ومار الشيء مورًا تحرك وتدافع واضطرب، ومار البحر اضطرب وماج، فالمور هو الاضطراب والموج[٢].

فقوله:﴿تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوۡرٗا ﴾ يدور أهلها فيها، ويموج بعضهم في بعض، وتضطرب اضطرابًا شديدًا غريبًا، فترتج وتتشقق[٣]، والموران بالنسبة للسماء هو "إصابتها بالاضطراب والتحرك بسرعة، والتدافع فيما بينها بحيث تتحول إلى أمواج كالبحر مع ثورانها، ودوران أمواجها على نفسها، وأمواجها تذهب وتجيء، وتكون هذه الحركة بقوة ونشاط، فكأن جزيئاتها تنتف وتتباعد عن بعضها البعض"[٤].

خامسًا: البلاغة في سياق الإشارة إلى انتثار الكواكب:

وهي حالة من أحوال تبدد الكون حين قيام الساعة، إذ **قَالَ تَعَالَىٰ:﴿وَإِذَا ٱلۡكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتۡ ۝٢﴾[الانفطار: ٢]**

افتتحت الآية الكريمة بأسلوب الشرط بقوله ﴿وَإِذَا ٱلۡكَوَاكِبُ ﴾ الدال على التشويق فإذا ذكرت أداة الشرط وأتبعها فعل الشرط تشوقت النفس إلى ذكر ما بعده، وغالبًا تتحدث هذه الآيات المفتتحة بهذا الأسلوب عن أمور مستقبلية، كالحديث عن مقدمات القيامة، وأهوال الحشر، فكانت الأداة المفضلة هي (إذا) المؤذنة بتحقق شرطها وجوابها[٥].

---

(١) التحرير والتنوير: ٤٢/٢٧.

(٢) ينظر: العين، الفراهيدي، مادة(مور) :٩٢٩/١.وتهذيب اللغة، أبو منصور الأزهري مادة(مور): ١٦٠/٥. ولسان العرب، مادة(مور): ١٨٦/٥.

(٣) ينظر: فتح البيان في مقاصد القرآن، محمد صديق القنوجي : ٢٢٠/١٣.

(٤) التصويرات القرآنية للأهوال السماوية في المشاهد الآخروية، ثائر ابراهيم خضير: ٣٧٨. مجلة بحوث الشرق الأوسط، العدد: ٤٦، ٢٠١٨، مصر.

(٥) ينظر: حركة المعنى في سور الانفطار دراسة بلاغية، فاطمة عبد المجيد عبد المجيد هنداوي جعفر:٩٧٠. مجلة كلية الدراسات الاسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية، المجلد:٥، العدد:٣٦.

وتحققت الاستعارة المكنية[١] في قوله: ﴿انتثرت﴾ فقد شبَّه القرآن الكريم الكواكب الثابتة في السماء بالجواهر المنتظمة في العقد، فإذا قطع السلك الجامع لتلك الجواهر تناثرت متفرقة هنا وهناك[٢]، أو أنه مستعار لخروج تلك الكواكب من دوائر أفلاكها وسموتها فتبدو مضطربة في الفضاء بعد أن كانت تلوح كأنها قارة، فانتثارها تبددها وتفرق مجتمعها، وذلك من آثار اختلال قوة الجاذبية التي أقيم عليها نظام العالم الشمسي[٣]، والانتثار يوحي بالإلقاء من التفريق، وهو ضد الجمع والضم كتساقط اللآلئ إذا انقطع السلك[٤].

وجاء الفعل﴿انتثرت﴾ بصيغة المبني للمعلوم؛ لأن في دلالة الفعل المبني للمعلوم توضيح بأن الكواكب بالرغم من عددها وضخامة حجمها سوف تنتشر وتتفرق من تلقاء نفسها؛ وذلك استجابةً لأمر الله سبحانه وإيذان بدء يوم القيامة.

سادسًا: البلاغة في سياق الإشارة إلى طمس النجوم وانكدارها:

ومن مشاهد يوم القيامة وأهوالها الكونية قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ ﴿٨﴾ ﴾ **[المرسلات: ٨]**

إذ ابتدأت الآية بحرف العطف الفاء في قوله ﴿فَإِذَا﴾ الذي أفاد التفريع[٥]على قوله ﴿ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٌ ﴿٧﴾ ﴾ [المرسلات: ٧] لأنه "لما أفاد وقوع البعث وكان المخاطبون ينكرونه ويتعللون بعدم التعجيل بوقوعه، بين لهم ما يحصل قبله زيادة في تهويله عليهم، والإنذار بأنه مؤخر إلى أن تحصل تلك الأحداث العظيمة، وفيه كناية[٦] رمزية على تحقيق وقوعه لأن الإخبار عن أمارات حلول ما يوعدون يستلزم التحذير من التهاون به "[٧].

---

(١) الاستعارة المكنية: هي ما حذف فيها المشبه به ورمز له بشيء من لوازمه، مع ذكر المشبه. الكافي في البلاغة، أيمن أمين عبد الغني:٧٦.

(٢) ينظر: الإبداع البياني، محمد علي الصابوني:٣٩٨.

(٣) ينظر: روح المعاني: ٢٧٦/١٥.

(٤) ينظر: مقاييس اللغة، مادة(نثر): ٣٨٩/٥. و لسان العرب، مادة(نثر): ١٩١/٥.

(٥) التفريع: جعل شيء عقيب شيء؛ لاحتياج اللاحق إلى السابق. كتاب التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ):٦٣. المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت –لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ –١٩٨٣م.

(٦) الكناية: هي أن تريد المعنى وتعبر عنه بغير لفظه. البلاغة فنونها وأفنانها، فضل حسن عباس:٢/ ٢٤٧.

(٧) التحرير والتنوير: ٤٢٤/٢٩.

ثم أعقبته أداة الشرط (إذا) الدالة على التشويق فإذا ذكرت أداة الشرط وأتبعها فعل الشرط تشوقت النفس إلى ذكر ما بعده، وغالبًا تتحدث هذه الآيات المفتتحة بهذا الأسلوب عن أمور مستقبلية، كالحديث عن مقدمات القيامة، وأهوال الحشر، فكانت الأداة المفضلة هي (إذا) المؤذنة بتحقق شرطها وجوابها(١).

وتحققت الاستعارة المكنية في قوله﴿ طُمِسَتْ﴾ للدلالة على الزوال وانطفاء النور ومحو الأثر فلا يُستدل بتلك النجوم، والطمس يدل على إزالة الأثر بالمحو، وله دلالة الدرس والتعلم كطمس الطريق والكتاب، وطمست النجوم والكواكب أي ذهب ضوئها، وتستعمل كلمة مطموس للأعمى(٢).

وبُني الفعل(طمست) للمجهول؛ لأن الغرض العبرة من حصول الفعل وتركيز الذهن الى الحدث ذاته والاهتمام به والفاعل هو الله عز وجل فهو معلوم وظاهر وإن لم يذكر فالدلالة على تعظيمه واضحة فمن غيره يقدر على خلق النجوم ومحوها، وقد سارت هذه الآية على نسق الآية السابقة ﴿ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٌ ۝٧ ﴾ فجعله مبنيًا كما لم يُسَمَّ فاعله.

وقد تنوع النظم القرآني في التعبير عن النجوم ومحوها وإزالتها لإعطاء المتدبر للقرآن الكريم صورة واضحة المعالم عن اهوال يوم القيامة، فتارة يعبر بانطماس النجوم كما أخبرنا في هذه الآية حيث استعار لفظة الطمس للدلالة على الزوال وانطفاء النور ومحو الأثر فلا يُستدل بتلك النجوم، فتصبح كالكتاب المطموس الذي لا يمكنك قراءة كلماته لعجمة حروفه، والتعبير بالطمس للمكتوبات حقيقة أما في غيرها استعارة، فالتعبير القرآني دقيق علميًا؛ لاتفاقه مع العلوم الحديثة.

ويعبر تارة أخرى بانكدار النجوم كما في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ۝٢ ﴾ [التكوير: ٢] فعبر القرآن الكريم عن تغير هيئة النجوم وألوانها بلفظة الانكدار، وعلى الرغم من دلالة هذه اللفظة على تغير هيئة الشيء كانكدار الماء بمعنى تغير لونه وطعمه، فدلالتها هنا على الحقيقة في حين أن اللفظة استخدمت على سبيل الاستعارة في الآية الكريمة فشبه سرعة تساقطها وذهاب نورها بالماء الذي فيه عوالق وأتربة، يتشتت صفاؤه؛ نتيجة تشتت أشعة

---

(١) ينظر: حركة المعنى في سور الانفطار دراسة بلاغية، فاطمة عبد المجيد عبد المجيد هنداوي جعفر:٩٧٠. مجلة كلية الدراسات الاسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية، المجلد:٥، العدد:٣٦.

(٢) ينظر: مقاييس اللغة، مادة(طمس): ٤٢٤/٣. و تاج العروس، مادة(طمس): ٢٠٧/١٦. و لسان العرب، مادة(طمس): ١٢٦/٦.

الضوء الداخل فيه، فتلك النجوم المزينة للسماء إذا تناثرت بانفصام رباطها وانطفاء نورها، تصبح على هيئة كدرة بغيضة.

سابعًا: البلاغة في سياق الإشارة إلى تكوير الشمس:

وهناك مشهد مروع آخر عن يوم القيامة والتبدد الكوني ألا وهو تكوير الشمس كما في قوله تعالى: ﴿إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ ۝١﴾ [التكوير: ١]

أفتتحت هذه الآية أيضًا بأداة الشرط ﴿إِذَا﴾ التي أضافت طابع الرهبة والتشويق في هذه الظواهر الكونية الدالة على نهاية الكون فضلاً عن كون شرطها يتحقق في زمن المستقبل لا في زمن الماضي إلا أن النظم القرآني أوردها في زمن الماضي في دلالته على الاستقبال؛ وذلك للتنبيه على تحقق وقوع الشرط .

ومن أوجه البلاغة التقديم والتأخير الحاصل في ﴿ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ﴾ فقد قدم الاسم على الفعل للاهتمام بالمتقدم فلم يقل (تكورت الشمس) ولعل فيه دلالة حتمية تحقق ذلك الأمر مستقبلاً وكأن الأمر قد حُسِمَ قدرًا وتحققًا.

إنّ التعبير القرآني خص الشمس بالتكور وهي أنموذج معهود لدى الإنسان يُعَمّم على نجوم الكون كله وهي تعد بالملايين، وهذه الكلمة لم ترد اعتباطًا في القرآن الكريم، فقد ورد الفعل (كور) في معاجم اللغة بدلالة دور وتجمع[1]، والتفاف الشيء على جهة الاستدارة[2]، فاطلاق لفظة التكوير في هذه الآية على سبيل المجاز فتتكور الشمس وتلتف كما تكور العمامة على الرأس فتصبح ملفوفة أو أن ضياءها المنبسط في الآفاق هو الذي يُلَفّ، ويمكن أن تكون استعارة تخيلية إذا شبهنا ارتفاع الضوء ولفه كالثوب بالجواهر الإنسية والأمور النفسية ويمكنك أن تتخيل تغير الظواهر الكونية من خلال نظم هذه الآية المباركة فظاهرة التفاف الشمس وتكوير بعضها على بعض ورميها وذهاب ضياءها تبعث في النفوس خوفًا ورهبة وذعرًا.

ثامنًا: البلاغة في سياق الإشارة إلى انشقاق القمر:

وهو حالة من أحوال تبدد الكون وانهياره، فقد صور لنا القرآن الكريم مشهد انشقاق القمر وهو من المشاهد المروعة ليوم القيامة، إذ**قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ۝١ ﴾ القمر: ١ .**

إذ حملت هذه الآية مشهدًا مروعًا ليوم القيامة، فكأن مطلع الآية ينبئ بحدث كوني جلل فقوله عز وجل ﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ﴾ أي: اقترب ذلك اليوم الذي يحاسب فيه الإنسان ويجزى

(١) ينظر: مقاييس اللغة، مادة(كور): ١٤٦/٥.

(٢) ينظر: معجم الوسيط، مادة(كور): ٨٠٤/٢.

على أعماله بثواب أو عقاب، فمن عادة القرآن الكريم انتهاز الفرص لتذكير العباد وموعظتهم حين تتضاءل شدة تعلقهم بالحياة الدنيا بأن يوم القيامة آتٍ لا محالة، وأن هناك إشارات واضحة خصها الذكر الحكيم بآياته دلالة على وجود اليوم الآخر منها انشقاق القمر.

أطلق لفظة ﴿اقْتَرَبَتِ﴾ على الحقيقة فهو قرب اعتباري، فقياس الزمن في هذه الآية نسبيٌّ، فيوم القيامة قريب إذا ما قسناه على ما مضى من الزمن منذ أن خلق الله -جل وعلا- السماوات والأرض.

ولأهمية أمر الساعة قدم جملة ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ﴾ على جملة ﴿وَانشَقَّ الْقَمَرُ﴾ فأصل الكلام (انشق القمر واقتربت الساعة)، ثم إن الأخبار يجب أن تكون مرتبة وفق وقوع الحدث وإن كان العاطف واوًا فهذا لا يقتضي أن يكون الترتيب في الوقوع، وهذا سبب آخر بين لنا أن الآية فيها تقديم وتأخير، ومن المفارقات اللغوية اللطيفة في هذه الآية أنه قال: (الساعة) ولم يقل: (يوم القيامة) فهي إما يراد بها تلك الساعة المعهودة أي ساعة استئصال المشركين بسيوف المسلمين، أو يراد بها وقت فناء العالم، ويمكن أن يكون قرب الساعة على سبيل المجاز أي الدلالة على الإمكان، فالمعنى: اتضح للناس ما كانوا يجدونه محالا من فناء العالم فإن لحصول المثل والنظائر إقناعا بإمكان أمثالها التي هي أقوى منها[1].

وانشقاق القمر هو معجزة الرسول (صلى الله عليه وسلم) وحدث ذلك الانشقاق حين طلب الكفار من سيدنا محمد -عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم - أن يأتيهم بمعجزة تدل على صدق رسالته فكان طلبهم انشقاق القمر ووعدوا الرسول أن يؤمنوا به إن تحقق انشقاق القمر فدعا الرسول -عليه السلام- ربه أن يحقق له هذه المعجزة، فحدثت معجزة انشقاق القمر، وانشق القمر إلى نصفين، نصفٌ على جبل قيقعان ونصفٌ على جبل الصفا المقابل له، وبعد حدوث هذه المعجزة العظيمة لم يصدق كفار قريش، واعتبروا أن انشقاق القمر معجزة، لكنّ العلم الحديث أكّد ظاهرة انشقاق القمر التي ورد ذكرها في القرآن الكريم في سورة القمر[2]، فجاء ذكر هذه المعجزة على طريقة الإدماج فهي وسيلة لتذكير الناس باليوم الآخر، وباعتبار أن القمر من الأجرام السماوية وهو يدور حول الأرض وقمرها الوحيد على خلاف كثير من كواكب الكون، فأي تغيير غير مألوف يحدث في نظام القمر يكون بمثابة تنبيه للبشر بأن هذا الكون يمكنه أن يختفي، فاستعمل الفعل الماضي(انشق) هنا على حقيقته، أي أنه حدث قبل نزول الآية.

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير:١٧١/٢٧.

(٢) ينظر: الكشاف:٤٣١/٤. و روح المعاني: ٧٥/١٤.

وإن كان نزولها قبل حصول الانشقاق فهو إنذار باقتراب الساعة وانشقاق القمر الذي هو من أشراط الساعة ومع الإيماء إلى أن الانشقاق سيكون معجزة لما يسأله المشركون، وإذ قد حمل معظم السلف من المفسرين ومن خلفهم هذه الآية على أن انشقاق القمر حصل قبل نزولها أو بقرب نزولها فبنا أن نبين إمكان حصول هذا الانشقاق مسايرين للاحتمالات الناشئة عن روايات الخبر عن الانشقاق إبطالا لجحد الملحدين، وتقريبا لفهم المصدقين، فيجوز أن يكون قد حدث خسف عظيم في كرة القمر أحدث في وجهه هوة لاحت للناظرين في صورة شقه إلى نصفين بينهما سواد حتى يخيل أنه منشق إلى قمرين، فالتعبير عنه بالانشقاق مطابق للواقع لأن الهوة انشقاق وموافق لمرأى الناس لأنهم رأوه كأنه مشقوق ويجوز أن يكون قد حصل في الأفق بين سمت القمر وسمت الشمس مرور جسم سماوي من نحو بعض المذنبات حجب ضوء الشمس عن وجه القمر بمقدار ظل ذلك الجسم على نحو ما يسمى بالخسوف الجزئي، ومن الممكن أن يكون هذا الانشقاق حدثا مركبا من خسوف نصفي في القمر على عادة الخسوف فحجب نصف القمر، والقمر على سمت أحد الجبلين وقد حصل في الجو ساعتئذ سحاب مائي انعكس في بريق مائه صورة القمر مخسوفا بحيث يخاله الناظر نصفا آخر من القمر دون كسوف طالعا على جهة ذلك الجبل، وهذا من غرائب حوادث الجو[1].

وإن موضوع انشقاق القمر في الماضي قد "تعرض إلى كثير من الجدل، وإن منطق الرسالة النبوية يعتمد على العقل والتفكير، فتقديم التفسير العلمي لانشقاق القمر في المستقبل هو الرأي الراجح لبعض العلماء، فعند اختلال نظام الأرض والقمر الذي قد يكون مقدمة لاختلال الكون كله كبداية للنهاية، باعتبار أن الكون أشبه بالعقد الذي إذا انفرطت إحدى حباته تناثرت الحبات الباقية، وليس هناك من الناحية العلمية ما يمنع من اختلال نظام الكون على هذا النحو كمقدمة لزواله نهائيًا عند قيام الساعة، وعلى هذا فالآية الكريمة تنبئ بأن القمر سينشق في المستقبل، كعلامة من علامات الساعة"[2].

ومن الناحية البلاغية إذا كان القمر قد انشق قبل نزول الآية؛ فاستعمال لفظة (انشق) على الحقيقة لأن حدوث الشق في القمر أمر حقيقي، بيد أنه إذا تفرق إلى نصفين فيمكن أن يطلق عليه لفظة (انشق) على سبيل المجاز المرسل، واستعمال الخبر في لازم معناه للموعظة والتذكير بعلامات يوم القيامة في حال أن الآية نزلت بعد حدوث الشق في القمر؛ لسابق علم الكفار بذلك الحدث فلا حاجة لأفادتهم حكم ذلك الخبر.

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير:١٧١/٢٧. والسماء في القرآن الكريم: ٥٣٩.

(٢) الكون والإعجاز العلمي للقرآن الكريم، منصور محمد حسب النبي: ٣٤٥.

وأما دلالة الآية على انشقاق القمر في المستقبل تبرز من خلال استعمال الخطاب القرآني للفعل الماضي (انشق) للدلالة على المستقبل، واستعمال الفعل بصيغة الماضي بدلاً من المضارع؛ وذلك لأن الفعل الماضي مؤكد تحقيق وقوعه أكثر من المضارع[١].

(١) ينظر: الكون والإعجاز العلمي للقرآن الكريم، منصور محمد حسب النبي:٣٤٨.

الخاتمة

١. إن أهوال تبدد الكون أو ما سماه القرآن الكريم بيوم (القيامة) عظيمة، وقد وضع الله – سبحانه– تلك الأهوال إيذانًا ببدء الحساب، وتهيؤا للقاء رب الأرباب، فعندها يتوقف الكون عن التوسع ويختل نظامه، ويرجع كل شيء إلى نقطة البداية التي انطلق منها بداية خلقه، ومن ضمن هذه الأهوال هي السماء وما فيها.

٢. بروز التشبيه في آيات التبدد الكوني، فقد رسم صورة اختفاء السماء؛ وأن السماوات والأرض ستعودان مجتمعتين كما كانتا في بدء نشأتهما، وهذا مظهر من مظاهر انقراض النظام الحالي ، وهو انقراض له أحوال كثيرة وُصف بعضها في سُور من القرآن.

٣. كثرة استعمال (إذا) الشرطية مع حذف جوابها في مشاهد تبدد الكون؛ لأن الابتداء بها يشد ذهن المتلقي لما بعدها من أحداث ويجعله يترقبها، فإذا حذف جوابها زاد من الغرض الذي سيقت من أجله الآيات المتمثلة بالتهويل والتفخيم، فيترك الحذف للمتلقي أن يذهب بخياله في تصوّره كل مذهب، وكأن الجواب من هوله لا تحيط بوصفه الألفاظ والعبارات.

٤. استعمل القرآن الكريم الأفعال استعمالا في غاية الروعة، فقد تميزت الآيات الدالة على التبدد في استعمال الأفعال الماضية والمضارعة التي تبادلت فيما بينها على الأدوار بحسب ما تقتضيه السياقات.

ثبت المصادر

- الإبداع البياني، محمد علي الصابوني، المكتبة العصرية، صيدا- بيروت، ط١، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٦م.
- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت:٩٨٢هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، د.ط، د.ت.
- الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم، محمد حسين سلامة، دار الآفاق العربية، القاهرة- مصر، ط١، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م.
- أوهام الالحاد العلمي، محمد باسل الطائي، مركز دلائل – الرياض،ط٢، ١٤٣٩هـ.
- الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن بن عمر بن أحمد بن محمد الخطيب القزويني(ت٧٣٩هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط١، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.
- البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت: ٧٤٥هـ)، تح: صدقي محمد جميل، دار الفكر – بيروت، ط١، ١٤٢٠ هـ.
- البلاغة فنونها وافنانها، فضل حسن عباس، دار الفرقان، عمان – الأردن، ط١١، ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م.
- تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (ت: ١٢٠٥هـ)، مجموعة من المحققين، دار الهداية.
- التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت : ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر – تونس، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.
- التصويرات القرآنية للأهوال السماوية في المشاهد الآخروية، ثائر ابراهيم خضير، مجلة بحوث الشرق الأوسط، العدد: ٤٦، ٢٠١٨، مصر.
- الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت: ٦٧١هـ)، تح: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، ط٢ ، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤ م.
- الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)،أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت: ٦٧١هـ)، تح: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤ م.

- حركة المعنى في سور الانفطار دراسة بلاغية، فاطمة عبد المجيد عبد المجيد هنداوي جعفر، مجلة كلية الدراسات الاسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية، المجلد:٥، العدد:٣٦.
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت: ١٢٧٠هـ)، تح: علي عبد الباري عطية، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤١٥ هـ.
- زهرة التفاسير، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (ت: ١٣٩٤هـ)، دار الفكر العربي.
- السماء في القرآن الكريم، زغلول راغب محمد النجار، دار المعرفة ، بيروت– لبنان، ط٤، ١٤٢٨هـ–٢٠٠٧م.
- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ)، تح: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م
- صيرورة الكون مدارج العلم ومعارج الإيمان، محمد باسل الطائي، ط٢، ٢٠٢٠م، دار ماشكي للطباعة والنشر والتوزيع، العراق– الموصل.
- علوم البلاغة، محمد أحمد قاسم، محي الدين ديب، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس– لبنان، ط١، ١٤٢٥هـ–٢٠٠٣م.
- على طريق التفسير البياني، فاضل صالح السامرائي، ط١، دار ابن كثير ، بيروت– لبنان، ١٤٣٨هـ–٢٠١٧م.
- فتحُ البيان في مقاصد القرآن، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (ت: ١٣٠٧هـ)، الناشر: المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنَّشْر، صَيدَا – بَيروت، عام النشر: ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢ م
- القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت: ٨١٧هـ)، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط٨، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥م
- الكافي في البلاغة، أيمن أمين عبد الغني، دار التوفيق للتراث، القاهرة– مصر، د.ط، د.ت.
- كتاب التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت: ٨١٦هـ)، دار الكتب العلمية بيروت –لبنان، ط١، ١٤٠٣هـ –١٩٨٣م.
- كتاب العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت: ١٧٠هـ)، تح: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، د.ط، د.ت.
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت: ٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي – بيروت، ط٣، ١٤٠٧ هـ–١٩٨٦م.

- الكون بداية ونهاية، محمد الجزار، مركز الكتاب للنشر، القاهرة–مصر، ط١، ١٤٢١هـ–٢٠٠١م.
- الكون والإعجاز العلمي للقرآن الكريم، منصور محمد حسب النبي، دار الفكر العربي، القاهرة– مصر، ط٢، ١٩٩١م.
- لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت: ٧١١هـ)، الناشر: دار صادر – بيروت، ط٣ ، ١٤١٤ هـ.
- محاسن التأويل، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: ١٣٣٢هـ)، تح: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٨ هـ.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (ت: ٥٤٢هـ)، تح: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١،١٤٢٢ هـ.
- معجم المصطلحات البلاغية، أحمد مطلوب، الدار العربية للموسوعات، بيروت– لبنان، ط١، ١٤٢٧هـ–٢٠٠٦.
- المعجم المفصل في علوم البلاغة البديع والبيان والمعاني، إنعام فوال عكاوي، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ط٣، ١٤٢٧هـ–٢٠٠٦م.
- المعجم الوسيط، (إبراهيم مصطفى/ أحمد الزيات/ حامد عبد القادر/ محمد النجار)، دار الدعوة، د.ط، د.ت.
- مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت: ٦٠٦هـ)، ط٣، دار إحياء التراث العربي – بيروت١٤٢٠ هـ.
- مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت: ٣٩٥هـ) تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر–لبنان،١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.
- من أساليب البيان في القرآن الكريم، محمد علي ابو حمدة، مكتبة الرسالة الحديثة، عمان –الأردن، ط٢، ١٤٠٣هـ –١٩٨٣م.
- من علم الفلك القرآني، عدنان الشريف، دار العلم للملايين– لبنان، ط١، ١٤١٢هـ–١٩٩١م.
- معجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد مختار عبدالحميد عمر (ت: ١٤٢٤هـ)، عالم الكتب، ط١، ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م.